## ٢ ـ أزواج عمر بن الخطاب رضي الله عنه

**ثاني الخلفاء الراشدين**، وأحد الأعمدة الأربعة للدين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، على مبغضه اللعنة.

نسبه «الإمام» «السيوطي» في كتابه «تاريخ الخلفاء» فقال: «عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن قُرْط بن رِزاح بن عدي بن كعب بن لؤي» أمير المؤمنين، «أبو حفص» القرشي، العدوي، الفاروق[١].

وكانت السفارة لعمر في الجاهلية، فإذا أرادت قريش أن تبعث سفيراً عنها بعثت «عمر» وإذا نافرها منافر وفاخرها مفاخر أرسلت «عمر» منافراً أو مفاخراً، وأمه «حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم» وخاله «أبو جهل» أشقى قريش، وأشدها على رسول الله ﷺ والمسلمين، ونال ببدر شر ميتة.

وزاد الطبري في نسبه «عبد الله» بين «رياح» وبين «قُرُط»[٢].

وسماه رسول الله ﷺ «الفاروق» فقد روى ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو حَزْرة؛ يعقوب بن مجاهد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي عمر وذكوان، قال: قلت لعائشة: من سمَّى «عمر» الفاروق؟ قالت: النبي ﷺ.

وقد كَنَّاه رسولُ الله ﷺ بأبي حفص يوم بدر، فقد روى أبو جعفر الطبري في تاريخه: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومئذ ـ أي: يوم بدر ـ: **«إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كُرْهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمَنْ لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومَنْ لقي «أبا البَخْتَري بن هشام بن الحارث بن أسد» فلا يقتله، ومن لقي «العباس بن عبد المطلب» عم رسول الله فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهاً»**.

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ٩٩.

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٥).

قال: فقال «أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة»: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك «العباس؟» والله لئن لقيتُه لأُلْجِمَنَّهُ السيف ـ أي: لأطعنَنَّ لحمه بالسيف ـ، فبلغت رسول الله ﷺ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب: «**يا أبا حفص! أما تسمع لقول أبي حذيفة؟ يقول: أضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف**» فقال «عمر»: يا رسول الله! دعني فلأضربن عنقه بالسيف، فوالله! لقد نافق.

قال «عمر»: والله! إنه لأول يوم كنَّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص[1].

ولكن، كيف أسلم «عمر بن الخطاب»؟

كان «عمر» في جاهليته شديداً على المسلمين وأسهم بنفسه في تعذيب بعضهم، ثم حزم أمره على الفتك برسول الله ﷺ وتخليص قريش منه، فأخذ لذلك أهبته، وتقلَّد سيفه، ثم خرج من منزله ينشد ضالَّته، ولكن مشيئة رَبِّ «عمر» قضت بخلاف مشيئة «عمر» وبدلاً من أن ينفذ بُغْيَته، ويرجع بالإثم العظيم، عاد بالخير العميم، حين زيَّن خير الأنام، صدره بأرفع وسام، ألا وهو وسام الإسلام.

وقد تعددت الروايات حول إسلامه، حيث جاء إسلامه إثر دعوة دعاها رسول الله ﷺ له، فاستجاب الله تعالى لنبيه ﷺ لِمَا أراد الله بعمر من الكرامة، فقد أخرج «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء» حديث الترمذي، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «**اللهم! أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام**»، فظفر الأول برضا الله وكان من المسلمين، وباء الثاني بسخط الله وكان من الكافرين.

وفي رواية للحاكم عن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ قال: «**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة**»[2] وإنها لدعوة خالصة صادفت قدراً مقدوراً.

ثم قال السيوطي: وأخرج ابن سعد، وأبو يعلى، والحاكم، والبيهقي في الدلائل عن أنس رضي الله عنه، قال: خرج «عمر» متقلداً سيفه، فلقيه رجل من بني زُهْرَة، فقال: أين تعمد يا عمر! فقال: أريد أن أقتل «محمداً»، قال: وكيف تأمن

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٥٠).
(٢) تاريخ الخلفاء، ص: ١٠٠.

من بني هاشم وبني زهرة، وقد قتلت «محمداً؟»، فقال: ما أراك إلا قد صبأت، قال: أفلا أدلك على العجب؟ إن خَتَنَك ـ أي: صهرك ـ وأختك قد صَبَآ وتركا دينك.

فمشى «عمر»، فأتاهما وعندهما «خَبَّاب»، فلما سمع بحس «عمر» توارى في البيت، فدخل، فقال: ما هذه الهينمة؟ ـ الكلام غير المفهوم ـ وكانوا يقرأون قوله تعالى: ﴿طه ۝١﴾ [طه، الآية: ١] قالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبأتما، فقال له خَتَنُه: يا عمر! إن كان الحق في غير دينك، فوثب عليه «عمر»، فوطئه وطأً شديداً، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمَّى وجهها، فقالت ـ وهي غضبى ـ: وإن كان الحق في غير دينك، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فقال «عمر»: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم، فأقرأه ـ وكان «عمر» يقرأ الكتاب ـ فقالت أخته: إنك نجس، وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ، ثم أخذ الكتاب، فقرأ: قوله تعالى: ﴿طه ۝١﴾ [طه، الآية: ١] حتى انتهى إلى: قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه، الآية: ١٨]، فقال «عمر»: دلوني على «محمد»، فلما سمع «خبَّاب» قول «عمر» خرج، فقال: أبشر يا عمر! فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك، ليلة الخميس «اللهم! أَعِزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بعمرو بن هشام».

وكان رسول الله ﷺ في أصل الدار التي في أصل الصفا، فانطلق «عمر» حتى أتى الدار، وعلى بابها «حمزة» و«طلحة» وناس، فقال «حمزة»: هذا «عمر»، إن يرد الله به خيراً يسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً، قال: والنبي ﷺ داخل يوحى إليه، فخرج حتى أتى «عمر»، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: **«ما أنت بِمُنْتَهٍ يا عمر! حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة»**، فقال «عمر»: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله.

وأخرج البزار والطبراني وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الدلائل، عن أسلم، قال: قال لنا «عمر»: كنتُ أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ، فبينا أنا في يوم حار بالهاجرة في بعض طريق مكة إذ لقيني رجل، فقال: عجباً لك يابن

الخطاب! إنك تزعم أنك وأنك، وقد دخل عليك الأمر في بيتك، قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد أسلمت، فرجعتُ مغضباً حتى قرعتُ الباب، قيل: من هذا؟ قلت: «عمر»، فتبادروا فاختفوا مني، وقد كانوا يقرأون صحيفة بين أيديهم، تركوها ونسوها، فقامت أختي تفتح الباب، فقلت: يا عدوة نفسها! أَصَبَأْتِ؟ وضربتُها بشيء كان في يدي على رأسها، فسال الدم وبكت، فقالت: يابن الخطاب! ما كنت فاعلاً فافعل، فقد صَبَأْتُ، قال: ودخلتُ حتى جلستُ على السرير، فنظرتُ إلى الصحيفة، فقلت: ما هذا؟ ناولنيها.

قالت: لست من أهلها، إنك لا تَطَهَّر من الجنابة، وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون، فما زلت بها حتى ناولتنيها، ففتحتها فإذا فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فلما مررتُ باسم من أسماء الله تعالى ذعرت منه، فألقيت الصحيفة، ثم رجعت إلى نفسي، فَناولتُها، فإذا فيها: قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الصَّف، الآية: ١]، فذعرت، فقرأت إلى: قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، فخرجوا إليَّ مبادرين وكبَّروا وقالوا: أبشر فإن رسول الله ﷺ دعا يوم الإثنين فقال: «**اللهم! أَعِزَّ دينك بأحب الرجلين إليك: إما «أبو جهل بن هشام»، وإما «عمر»**.

ودَلَّوني على النبي ﷺ في بيت بأسفل الصفا، فخرجتُ حتى قرعتُ الباب، فقالوا: مَنْ؟ قلت: ابن الخطاب، وقد علموا شدتي على رسول الله ﷺ، فما اجترأ أحدٌ بفتح الباب، حتى قال ﷺ: «**افتحوا له**»، ففتحوا لي، فأخذ رجلان بعضدي حتى أتيا بي النبي ﷺ، فقال: خَلُّوا عنه، ثم أخذ بمجامع قميصي وجذبني إليه، ثم قال: «**أَسْلِمْ يابن الخطاب! اللهم! اهده**»، فتشهدت، فكبَّر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة، وكانوا مُسْتَخْفِينَ، فلم أشأ أن أرى رجلاً يضرب ويضرب إلا رأيته ولا يصيبني من ذلك شيء، فجئت إلى خالي «أبي جهل بن هشام» وكان شريفاً، فقرعتُ عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: ابن الخطاب، وقد صبأتُ، فقال: لا تفعل، ثم دخل، وأجَاف الباب دوني، فقلت: ما هذا بشيء، فذهبتُ إلى رجل من عظماء قريش، فناديته، فخرج إليَّ، فقلت له مثل مقالتي لخالي، وقال لي مثل ما قال خالي، فدخل وأجَاف الباب دوني، فقلت: ما هذا بشيء، إن المسلمين يضربون وأنا لا أُضْرَب، فقال لي رجل: أتحب أن يعلم بإسلامك؟ قلت: نعم، قال: فإذا جلس الناس في الحِجْر، فَأْتِ

فلاناً ـ لرجل لم يكن يكتم السر ـ فقل له فيما بينك وبينه، إني قد صبأت، فإنه قلَّ ما يكتم السر، فجئت وقد اجتمع الناس في الحِجْر، فقلت فيما بيني وبينه: إني قد صَبَأْتُ قال: أو قد فعلت؟ قلت: نعم، فنادى بأعلى صوته: إن «ابن الخطاب» قد صَبَأَ، فبادروا إليَّ، فما زلتُ أضربهم ويضربونني، واجتمع عليَّ الناس، فقال خالي: ما هذه الجماعة؟ قيل: «عمر» قد صبأ، فقام على الحِجْر فأشار بكمه: ألا إني قد أجرتُ ابن أختي، فتكشفوا عني، فكنتُ لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يضرب ويضرب إلَّا أريته، فقلت: ما هذا بشيء قد يصيبني، فأتيتُ خالي، فقلت: جوارُك ردَّ عليك، فما زلتُ أضرب وأضرب حتى أعزَّ الله الإسلام.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» وابن عساكر، عن ابن عباس ﷺ، قال: سألت «عمر» ﷺ: لأي شيء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم «حمزة» قبلي بثلاثة أيام، فخرجت إلى المسجد، فأسرع «أبو جهل» إلى النبي ﷺ يسبُّه، فأُخْبِرَ «حمزة» فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التي فيها «أبو جهل» فاتكأ على قوسه، مقابل «أبي جهل»، فنظر إليه فعرف «أبو جهل» الشر في وجهه، فقال: مالك يا أبا عُمَارة!؟ فرفع القوس، فضرب بها أخدعه ـ عرق في جانب العنق ـ فقطعه، فسالت الدماء، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر.

قال: ورسول الله ﷺ مختفٍ في دار الأرقم المخزومي، فانطلق «حمزة» فأسلم، فخرجت بعده بثلاثة أيام، فإذا فلان المخزومي، فقلت له: أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين «محمد؟»، فقال: إن فَعَلْتُ فقد فعله مَنْ هو أعظم عليك حقاً مني، قَلتُ: ومن هو؟ قال: أختك وختنك، فانطلقت فوجدتُ الباب مغلقاً، وسمعت همهمة، ففتح لي الباب، فدخلت، فقلت: ما هذا الذي أسمع عندكم؟ قالوا: ما سمعتَ شيئاً، فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس خَتَني، فضربتُه ضربة فأدميتُه، فقامت إليَّ أختي، فأخذت برأسي وقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك، فاستحييتُ حين رأيت الدماء، فجلستُ وقلتُ: أروني هذا الكتاب، فقالت: إنه لا يمسه إلَّا المطهرون، فقمت واغتسلت، فأخرجوا إليَّ صحيفة فيها «بسم الله الرحمٰن الرحيم» فقلت: أسماء طيبة طاهرة: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه، الآيتان: ١، ٢] إلى قوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه، الآية: ٨]، قال: فتعظمت في صدري، وقلت: من هذا فرَّت قريش، فأسلمت

وقلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت: إنه في دار «الأرقم»، فأتيتُ الدار، فضربتُ الباب، فاتجمع القوم، فقال لهم «حمزة»: مالكم؟ قالوا: «عمر»، قال: وإن كان «عمر»، افتحوا له الباب، فإن أقبل قبلنا منه، وإن أدبر قتلناه، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج، فتشهد «عمر»، فكبَّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة، قلت: يا رسول الله! ألسنا على الحق؟ قال: «بلى»، قلتُ: ففيم الاختفاء؟ فخرجنا صَفَّيْن أنا في أحدهما و«حمزة» في الآخر، حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريش إليَّ وإلى «حمزة»، فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها فسماني رسولُ الله ﷺ «الفاروق» يومئذ، لأنه أظهر الإسلام، وفرق بين الحق والباطل[1].

وكان «عمر» رضي الله عنه أخشى الناس لله تعالى بعد رسول الله ﷺ وصاحبه «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه، وأتقاهم، وكانت خشيته تلك مدعاة لمراقبة الله تعالى سراً وعلانية، آناء الليل وأطراف النهار، ورغم ذلك كله كان خائفاً على نفسه من أن يكون أحد المنافقين، وكان رسول الله ﷺ قد أَسَرَّ إلى «حذيفة بن اليمان» واستودعه أسماءهم، فجاءه «عمر» رضي الله عنه، وسأله عما إذا كان في عدادهم.

ولهذا لم تكن مخافة الله تعالى تفارقه حتى خرج من الدنيا وهو لها كاره، بل أحد المبغضين، وقال عنه «معاوية بن أبي سفيان» رضي الله عنه: أما «أبو بكر» فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما «عمر» فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما نحن فَتَمَرَّغْنا فيها ظهراً لبطن. قاله «الزبير بن بكار» في مُوَفَّقياته.

فكيف اسْتُخْلِفَ «عمر؟» ولِمَ آثره «أبو بكر» رضي الله عنه على من سواه؟

لقد أخرج «ابن جرير» في تاريخه، عن ابن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، قال: لما نزل بأبي بكر رضي الله عنه الوفاة دعا «عبد الرحمٰن بن عوف»، فقال: أخبرني عن «عمر»، فقال: يا خليفة رسولِ الله! هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن فيه غلظة.

فقال «أبو بكر»: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٠٠ ـ ١٠٤.

مما هو عليه، ويا أبا محمد! قد رَمَّقْتُه، فرأيتني إذا غضبتُ على الرجل في الشيء أراني الرضا عنه، وإذا لنتُ له أراني الشدة عليه، لا تذكر «أبا محمد!» مِمَّا قلت لك شيئاً، قال: نعم، ثم دعا «عثمان بن عفان»، قال: يا أبا عبد الله! أخبرني عن «عمر»، قال: أنت أخبرُ به، فقال «أبو بكر»: عليَّ ذاك يا أبا عبد الله! قال: اللهم! علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأن ليس فينا مثله.

قال «أبو بكر» ﷺ: رحمك الله، يا أبا عبد الله! لا تذكر مما ذكرتُ لك شيئاً، قال: أفعلُ، فقال له «أبو بكر»: لو تركته ما عَدَوْتُكَ، وما أدري لعله تاركه، والخِيرَةُ له أَلَّا يليَ من أموركم شيئاً، ولوددت أني كنت خِلْواً من أموركم؛ وأني كنت فيمن مضى من سلفكم، يا أبا عبد الله! لا تذكُرَنَّ مِمَّا قلتُ لك من أمر «عمر» ولا مِمَّا دعوتك له شيئاً[1].

وقال أبو جعفر: وقال الواقدي: حدثني إبراهيم بن أبي النضر، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، قال: دعا «أبو بكر»، «عثمان» خالياً، فقال: اكتب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما عهد به «أبو بكر بن أبي قحافة» إلى المسلمين، أما بعد، قال: ثم أغمي عليه، فذهب عنه، فكتب «عثمان»: أما بعد: فإني قد استخلفتُ عليكم «عمر بن الخطاب»، ولم آلُكُمْ خيراً منه، ثم أفاق «أبو بكر» فقال: اقرأ عليَّ، فقرأ عليه، فكبَّر «أبو بكر»، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افْتُلِتَتْ نفسي في غشيتي! قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأَقَرَّها «أبو بكر» ﷺ من هذا الموضع.

ثم قال أبو جعفر: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، قال: حدثنا الليث بن سعد، قال: حدثنا عُلْوان، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد الرحمٰن بن عوف، عن أبيه، أنه دخل على «أبي بكر الصديق» ـ رضي الله تعالى عنه ـ في مرضه الذي توفي فيه، فأصابه مهتماً: فقال له: «عبد الرحمٰن»: أصبحت ـ والحمد لله ـ بارئاً! فقال «أبو بكر» ﷺ: أتراه؟

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٢٨).

قال: نعم، قال: إني ولَّيْتُ أمركم خيركم في نفسي، فكَلم وَرِمَ أنفه من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولَمَّا تُقْبِلْ، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألموا الاضطجاع على الصوف الأَذْرِيِّ ـ نسبة إلى أذربيجان ـ؛ كما يألم أحدكم أن ينام على حَسَك، والله! لأن يقدَّم أحدكم فتضرب عنقه في غير حَدٍّ خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا وأنتم أول ضالٍّ بالناس غداً، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً، يا هادي الطريق! إنما هو الفجر أو البَجْر ـ أي: الأمر العظيم ـ، فقلت له: خَفِّض عليك رحمك الله، فإن هذا يهيضك في أمرك، إنما الناس في أمرك بين رجلين، إما رجل رأى ما رأيتَ فهو معك، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك أردتَ إلَّا خيراً، ولم تزل صالحاً مُصْلِحاً، وأنك لا تأسى على شيء من الدنيا.

قال «أبو بكر» ﷺ: أجل، إني لا آسى على شيء من الدنيا إلَّا على ثلاث فعلتُهُنَّ، وددتُ أني تركتُهُنَّ، وثلاث تركتُهُنَّ، وددتُ أني فعلتُهُنَّ، وثلاث وددتُ أني سألت عنهن رسول الله ﷺ.

فأما الثلاث اللاتي وددتُ أني تركتُهُنَّ؛ فوددت أني لم أكشف بيتَ «فاطمة» عن شيء، وإن كانوا قد غَلَّقوه على الحرب، وددتُ أني لم أكن حَرَقْتُ «الفُجَاءَة السُّلَميَّ»، وأني كنت قَتلتُه سريحاً أو خلَّيتُه بحيحاً ـ صابراً ـ، ووددتُ أني يوم سقيفة بني ساعدة كنتُ قذفتُ الأمرَ في عنق أحد الرجلين ـ يريد «عمر» و«أبا عبيدة» ـ فكان أحدهما أميراً؛ وكنتُ وزيراً.

وأما اللاتي تركتُهُنَّ؛ فوددتُ أني يوم أُتِيتُ بالأشعث بن قيس أسيراً كنتُ ضربتُ عنقه، فإنه تَخَيَّلَ إليَّ أنه لا يرى شراً إلَّا أعان عليه، ووددتُ أني حين سيَّرتُ «خالد بن الوليد» إلى أهل الرِّدة؛ كنتُ أقمتُ بذي القَصَّةِ؛ فإنْ ظَفِرَ المسلمون ظفِروا، وإن هُزِموا كنتُ بصدد لقاءٍ أو مدداً، ووددت أني كنتُ إذ وجَّهتُ «خالد بن الوليد» إلى الشام، كنتُ وجَّهتُ «عمر بن الخطاب» إلى العراق؛ فكنتُ قد بسطتُ يديَّ كلتيهما في سبيل الله ـ ومَدَّ يديه ـ، ووددتُ أني كنتُ سألتُ رسول الله ﷺ: لمن هذا الأمر؟ فلا يُنَازَعُه أحد، ووددتُ أني كنتُ

سألتُه: هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟ ووددتُ أني كنتُ سألتُه عن ميراث ابنة الأخ والعَمَّةِ، فإنَّ في نفسي منهما شيئاً[١].

وكان أول ما نطق به «عمر» حين اسْتُخْلِفَ: إنما مَثَلُ العرب مثل جمل «أنف» اتَّبع قائده، فلينظر قائدُه حيث يقود، وأما أنا فوربِّ الكعبة، لأحملنَّهم على الطريق، ولئن بدا «عمر» للناس جباراً في الجاهلية، فإن الإسلام ألقى في قلبه الرحمة للمؤمنين، والشدة على أعدائهم الكافرين، ولا غَرْوَ، فقد صَدَّق قول الله تعالى في تنزيله العزيز: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح، الآية: ٢٩]، وهل كان في مُكْنَته الخروج على مبادىء المدرسة المحمدية، وهو من أنجب طلابها؟. وقد أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه، أسماء من تزوج «عمر» من النساء، ومن ولد له، فقال:

١ ـ حدثني أبو زيد عن عمر بن شبة، عن علي بن محمد والحارث، عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، وحُدِّثتُ عن هشام بن محمد ـ اجتمعت معاني أقوالهم، واختلفت الألفاظ بها ـ قالوا: تزوج «عمر» في الجاهلية «زينب بْنَةُ مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، فولدت له «عبد الله» و«عبد الرحمٰن الأكبر» و«حفصة».

٢ ـ وقال علي بن محمد: وتزوج «مليكة بْنَةَ جَرْوَل» الخزاعي في الجاهلية، فولدت له «عبيد الله بن عمر»، ففارقها في الهدنة، فخلف عليها بعد «عمر» أبو الجهم بن حذيفة.

٣ ـ وأما محمد بن عمر، فإنه قال: «زيد الأصغر» و«عبيد الله» الذي قتل يوم «صِفِّين» مع «معاوية»، أمهما «أم كلثوم بنت جَرْوَل بن مالك بن المسيَّب بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سَلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة، وكان الإسلام فَرَّق بينها وبين «عمر».

٤ ـ قال علي بن محمد: وتزوج قُرَيْبَة بْنَة أبي أمية المخزومي في الجاهلية، ففارقها أيضاً في الهدنة، فتزوجها بعده «عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق».

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٢٩ ـ ٤٣١).

٥ ـ قالوا: وتزوج «أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم» في الإسلام؛ فولدت له «فاطمة» فطلقها، قال المدائني: وقد قيل: لم يطلقها.

٦ ـ وتزوج «جميلة» أخت «عاصم بن ثابت بن أبي الأصلح ـ واسمه «قيس بن عصمة بن مالك بن ضبيعة بن زيد بن الأوس» ـ من الأنصار في الإسلام ـ فولدت له «عاصماً»، فطلقها.

٧ ـ وتزوج «أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب» وأمها «فاطمة» بنت رسول الله ﷺ، وأصدقها ـ فيما قيل ـ أربعين ألفاً، فولدت له «زيداً» و«رقية».

٨ ـ وتزوج «لُهَيَّة» امرأة من اليمن، فولدت له «عبد الرحمٰن»، قال المدائني: ولدت له «عبد الرحمٰن الأصغر»، قال: ويقال: كانت أم ولد. قال الواقدي: «لُهَيَّة» هذه أم ولد، وقال أيضاً: ولدت له «لُهَيَّة» عبد الرحمٰن الأوسط، وقال: «عبد الرحمٰن الأصغر» أمه أم ولد.

٩ ـ وكانت عنده «فُكَيْهَة»، وهي أم ولد، في أقوالهم: فولدت له «زينب». وقال الواقدي: هي أصغر ولد «عمر».

١٠ ـ وتزوَّج «عاتكة بْنَة زيد بن عمرو بن نُفَيْل»، وكانت قبله عند «عبد الله بن أبي بكر»؛ فلما مات «عمر» تزوجها «الزبير بن العوام».

قال المدائني: وخطب «أم كلثوم بنت أبي بكر» وهي صغيرة، وأرسل فيها إلى «عائشة» فقالت: الأمر إليك، فقالت «أم كلثوم»: لا حاجة لي فيه؛ فقالت لها «عائشة»: ترغبين عن أمير المؤمنين! قالت: نعم، إنه خشن العيش، شديد على النساء، فأرسلت «عائشة» إلى «عمرو بن العاص» فأخبرته؛ فقال: أكفيكِ؛ فأتى «عمرَ» فقال: يا أمير المؤمنين! بلغني خبراً عِندك بالله منه، قال: وما هو؟ قال: خطبتَ «أم كلثوم بنت أبي بكر»، قال: نعم؛ أفرغبت بي عنها، أم رغبت بها عني؟ قال: لا واحدة؛ ولكنها حَدَثَة، نشأت تحت كنف أم المؤمنين في لين ورفق؛ وفيك غلظة، ونحن نهابك، وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك؛ فكيف بها إن خالفتك في شيء؛ فَسَطَوْت بها؟ كنتَ قد خلفت «أبا بكر» في ولده

بغير ما يحق عليك، قال: فكيف بعائشة وقد كلمتُها؟ قال: أنا لك بها، وأدلك على خير منها، «أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب»، تَعْلَق منها بسبب من رسول الله ﷺ قال المدائني: وخطب «أم ابن بنت عتبة بن ربيعة» فكرهَتْه، وقالت: يغلق بابه، ويمنع خيره، ويدخل عابساً، ويخرج عابساً[١].

وكان أبو جعفر قد ذكر أن «عمر بن الخطاب» طلق امرأتيه «قُرَيْبة بنت أبي أمية بن المغيرة»، فتزوجها بعده «معاوية بن أبي سفيان» وهما على شركهما بمكة، و«أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية» أم «عبيد الله بن عمر»، فتزوجها «أبو جهم بن حذافة بن غانم» رجل من قومها، وهما على شركهما بمكة[٢].

وخطب «أم سلمة» قبل رسول الله ﷺ، فلم توافق واحتجت بأنها مُسِنَّة، ثم تزوجها رسول الله ﷺ.

وخطب «فاطمة الزهراء» بنت رسول الله ﷺ، فقال له ﷺ: «**لم ينزل القضاء بعد**». ذلك أن رسول الله ﷺ لم يتزوج شيئاً من نسائه، ولا زوَّج شيئاً من بناته إلا بإذن من الله تعالى أتاه به «جبريل» عليه السلام.

أما «زينب بنت مظعون» فكانت من أسرة عريقة في الحسب، شريفة في النسب، محبة للجهاد، وإخوتها «عثمان» و«عبد الله» و«قدامة» بنو مظعون، من السابقين الأولين للإسلام، وقد شهدوا بدراً مع «السائب بن عثمان بن مظعون» و«خنيس بن حذافة» زوج «حفصة بنت عمر».

وكان «عثمان بن مظعون» أبو السائب، قد حرَّم الخمر على نفسه قبل أن تحرَّم ـ أي: زمن الجاهلية وقبل أن يسلم ـ فقيل له في ذلك، فقال: لا أشرب شراباً يذهب عقلي، ويضحك به من هو أدنى مني، وبعد عودتهم من الحبشة، دخل «عثمان» في جوار «الوليد بن المغيرة»، ثم أبت عليه شهامته أن يروح ويغدو آمناً، وأصحابه يعانون من تعذيب قريش ونكالها، فلم يعجبه ذلك، فقال: والله! إن غُدُوِّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٨ ـ ٢٠٠).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٠).

من البلاء والأذى في سبيل الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي، فمشى إلى «الوليد بن المغيرة» وقال له: يا أبا عبد شمس! وَفَتْ ذِمَّتُكَ، وقد رددتُ إليك جوارك.

فقال له «الوليد»: لِمَ؟ يابن أخي! لعله آذاك أحد من قومي، فقال «عثمان»: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره، قال «الوليد»: هيا إلى المسجد فاردد عليَّ جواري علانية، كما أجرتك علانية، وهناك قال «الوليد» للناس: هذا «عثمان» جاء يرد عليَّ جواري، قال «عثمان»: صدق، قد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكني قد أحببت ألَّا أستجير بغير الله، فقد رددتُ عليه جواره، ثم انصرف «عثمان».

وفيما كان الشاعر «لبيد بن ربيعة» ينشد قريشاً، سمعه «عثمان» يقول:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ

فقال «عثمان»: صدقتَ، وتابع «لبيد» إنشاده، فقال:

وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

فقال «عثمان»: كذبتَ، نعيم الجنة لا يزول، فقال «لبيد»: يا معشر قريش! والله! ما كان يؤذي جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟

فقام رجل من القوم، فضرب «عثمان» فآذى عينه، وكان «الوليد» حاضراً، فقال: أما والله يا ابن أخي! قد كانت عينك غنية عما أصابها، وكنت في ذِمَّة منيعةٍ، فقال «عثمان»: بل والله! إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في سبيل الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس! فقال له «الوليد»: هلم، يابن أخي! إن شئت، فعد إلى جوارك، فقال «عثمان»: لا، ثم غادر المكان والألم ينزع عينه، ولكن جوار الله منحه الراحة، فقال:

فإن تك عيني في رضا الله نالها ... يدا ملحدٍ في الدين ليس بمهتدي
فقد عوَّض الرحمٰن منها ثوابَه ... ومن يُرْضِه الرحمٰن يا قوم يُسْعَدِ
فإني وإن قلتم غويٌّ مضَلَّلٌ ... لأحيا على دين الرسول محمَّدِ
أريد بذاك اللهَ والحقُّ ديننا ... على رغم من يبغي علينا ويعتدي

وهكذا أبت نفس «عثمان»، أن توثر أي جوار على جوار الرحمٰن، وهل يدل ذلك إلا على قوة الإيمان؟

وأصيب «عثمان» بجراحة يوم بدر، وفيما كان المسلمون عائدين إلى المدينة وقد مَنَّ الله عليهم بالنصر المبين، فاضت روح «عثمان» بالطريق، فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ يقبله ويعطره بدموعه، وهو يقول: «**رحمك الله أبا السائب! خرجت من الدنيا، وما أصبت منها وما أصابت منك**»، وأي شيء كان يبتغي «عثمان»، غير شهادة تفضي به إلى الجنان، وأن يكون آخر ما يمسه من الدنيا جسد المصطفى الهاشمي العدنان؟

أما «أم حكيم بنت الحارث بن هشام» فقد أخرج «ابن حَجَر العسقلاني» في «الإصابة» نقلاً عن «أبي عمر بن عبد البر» في «الاستيعاب» أنها كانت تحت «عكرمة بن أبي جهل» فقتل عنها ـ كما قال «أبو عمر» ـ بأجنادين، فاعتدت أربعة أشهر وعشراً، وكان «يزيد بن أبي سفيان» يخطبها، وكان «خالد بن سعيد» يرسل إليها يعرض لها في خطبتها، فخطبت إلى «خالد بن سعيد»، فتزوجها على أربعمائة دينار، فلما نزل المسلمون مرج الصُّفَّر ـ وكان «خالد» قد شهد أجنادين وفِحْل ومرج الصُّفَّر ـ أراد «خالد» أن يعرِّس بأم حكيم، فجعلت تقول: لو أخَّرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع، فقال «خالد»: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم، قالت: فَدُونَكَ، فأعرس بها عند القنطرة التي بالصُّفَّر، فيها سميت «قنطرة أم حكيم»، وأولم عليها، فدعا أصحابه على طعام، فما فرغوا من الطعام، حتى صفت الروم صفوفها صفوفاً خلف صفوف، وبرز رجل منهم يدعو إلى البراز، فبرز إليه «أبو جندل بن سهيل بن عمرو» فنهاه «أبو عبيدة»، فبرز «حبيب بن مسلمة» فقتله «حبيب»، ورجع إلى موضعه، وبرز «خالد بن سعيد» فقاتل فقتل، وشدَّت «أم حكيم» عليها ثيابها، وتبدَّت وإن عليها أثر الخلوق، فاقتتلوا أشد القتال على النهر، وصبر الفريقان جميعاً، وأخذت السيوف بعضها بعضاً، وقَتَلَت «أم حكيم» يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه «خالد» معرِّساً بها[1].

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣) والإصابة (٤/ ٢٦٨٢ ـ ٢٦٨٣).

وكان إسلامها يوم الفتح، وفرَّ زوجها «عكرمة» إلى اليمن، فاستأمنت له النبي ﷺ فأمَّنه، فانطلقت إليه وعادت به فأسلم، وحسن إسلامه، ولم يذكر «ابن حَجَر» ولا «أبو عمر» في ترجمتيهما لها شيئاً عن زواجها من «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه.

وأما «جميلة بنت ثابت بن أبي الأَقلح» أخت «عاصم بن ثابت» فقد ذكر «ابن جرير الطبري» أن «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه تزوجها في السنة السادسة، فولدت له «عاصم بن عمر»، فطلقها «عمر» فتزوجها بعده «يزيد بن جارية»؛ فولدت له «عبد الرحمٰن بن يزيد» فهو أخو «عاصم» لأمه[1].

وأما «أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب» من «فاطمة الزهراء» رضي الله عنها، فكان لها من المناقب الفذة ما حبَّبها إلى أمير المؤمنين أكثر من سائر أزواجه الأخريات، فكيف جمع الله بينهما تحت سقف واحد، على سنته وسنة مصطفاه؟

حين التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى كانت «أم كلثوم بنت علي» لم تتعدَّ الخامسة من عمرها، ولم تمض إلا عدة أشهر ـ ستة على الأرجح ـ حتى لحقت أمها «الزهراء» بأبيها ﷺ، فباتت الصغيرة تحت جناح أبيها «علي» رضي الله عنه، ورعاية أخويها «الحسن» و«الحسين» ريحانتي جدهما قُرَّة عيون المسلمين ﷺ.

وبينما «عمر» رضي الله عنه في عمله مَرَّ على خاطره حديث للحبيب الأعظم ﷺ: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**»، ومَنْ أكثر من «عمر» يطمح إلى صلةٍ كهذه، فبادر إلى منزل «أبي الحسنين» وبعد السلام عليه، قال بلهجة ممزوجة بالأمل والرجا : ألا تزوجني «أم كلثُوم؟»، وعلت الدهشة وجه «علي» لأن ابنته ما تزال صغيرة، وأدرك أن مجيء أمير المؤمنين إلى منزله ومفاجأته له بهذا الطلب رغم معرفته بصغرها وراءه باعث قوي ما ينبغي لمثله أن تفوته الإحاطة به، قا : يا أمير المؤمنين! كنت قد حبست بناتي على أبناء أخي «جعفر» وإن «أم كلثوم» صغيرة على الزواج، فقال «عمر»: زوجنيها يا علي! فوالله! ما على ظهر الأرض من يرصد من كرامتها ما أرصد، وذكر له حديث رسول الله ﷺ وألَحَّ عليه، وألحف في طلبه، حتى أجابه بقوله: قد فعلت،

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٤٢).

وسأبعثها إليك، فإن رضيتها فقد زوجتكها.

وانطلق أمير المؤمنين إلى غايته بعد أن حصل على بُغْيته، ودعا «عليٌّ» ابنته «أم كلثوم» وكان قد أعد لها ثوباً، ثم قال لها: انطلقي بهذا الثوب إلى أمير المؤمنين، وقولي له: إن أبي أرسلني بهذا الثوب، وهو يقرئك السلام، ويقول لك: إن رضيت هذا الثوب فأمسكه، وإن لم ترضه فردَّه.

ولما دخلت «أم كلثوم» على «عمر» وأخبرته بمقالة أبيها، قال لها: ـ وهو ينظر إليها لا إلى الثوب الذي تحمله ـ : بارك الله فيك، وفي أبيك، قد رضينا ما قال.

وعادت العروس الصغيرة إلى أبيها، وهي دَهِشَة، وأخبرته أن «عمر» لم ينظر إلى الثوب، ولم ينشره، بل ما نظر إلَّا إليَّ، فقال لها: يا بنية! لقد زوجتك إياه، وهو الآن زوجك، وعندها أدركت السر الذي وراء إرسالها بالثوب إلى أمير المؤمنين، وما كانت «أم كلثوم» لتخالف قرار أبيها، وتم الزواج الميمون بعد أن أصدقها أربعين ألف درهم، وولدت له غلاماً وجارية، أما الغلام فدُعيَ بزيد الأكبر، وأما الجارية فسميت «رقية» باسم خالتها «رقية» ﷺ.

ودخلت «أم كلثوم» بيت أمير المؤمنين فلم تدهش لبساطة محتوياته، ولا لخشونة عيشه، ولم تضق ذرعاً بذلك لأنها بينت أن بيتها القديم وبيتها الجديد لا يمتاز أحدهما من الآخر إلا باسم صاحبه، وأما من حيث المحتوى فالبيتان سواء، وما أرضاها بذلك!.

وكانت «أم كلثوم» على جانب كبير من الذكاء والفهم والإدراك رغم حداثة سنها، وكانت تكفيها الإشارة من «عمر» فتسعى إلى تلبية طلبه قبل أن يبوح به، وكانت شديدة الحرص على طاعته ومرضاته.

وفي إحدى الليالي، خرج «عمر» من داره ليعُسَّ ويتحرى أحوال الرعية، فرأى بصعوبة على مسافة قريبة خيمة لم تكن بالأمس في هذا الموضع، فحث خطاه حتى وصل إليها، فوجد رجلاً جالساً على مدخلها، وإذا هو يسمع أنيناً ضعيفاً ينبعث من داخلها، فقال «عمر» للرجل: السلام عليكم يا أخا العرب! فرد الرجل عليه التحية بأحسن منها وقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قال

«عمر»: مِمَّن الرجل؟ ومن أين أقبلت؟ وإلى أين تقصد؟ فقال الرجل: أنا من البادية، وقد علمت أن أمير المؤمنين «عمر» يعطي الفقراء والمساكين، فقدمت لعلي ألقاه وأنال من بعض فضله. فقال «عمر»: ما هذا الأنين الذي أسمع يخرج من داخل الخيمة؟ قال: إنها امرأتي وقد طرقها المخاض وهذا أنينها، قال «عمر»: أما من أحد عندها في الداخل؟ قال: لا، إنها وحدها، وما نعرف أحداً هٰهُنا ليساعدها، وبينما كان الرجل يسترسل في كلامه، أدار «عمر» ظهره إليه، وانطلق مهرولاً حتى إذا وصل إلى بيته وجد «أم كلثوم» مستغرقة في نومها، فدنا منها وأيقظها برفق، ثم قال لها: هل لك في خير ساقه الله إليك؟ فقالت باهتمام بالغ ـ لأن مجرد سماعها كلمة «خير» تبعث فيها القوة والنشاط وتجعلها مستعدة لأن تلبي كل دعوة فيها خير: وما هو يا أمير المؤمنين!؟ قال: بظاهر المدينة، خيمة في داخلها امرأة طرقها المخاض، وهي تحتاج إلى المساعدة حتى تضع مولودها، فهلمي كارَةً ـ صُرَّة توضع فيها الثياب ـ واجعلي فيها ما يمكن أن يلزمها ـ ثم أحضري لي قدراً، وبعض الشحم والطحين، وفي الحال جهزت له ما طلب، وانطلقا إلى مكان الخيمة، ودخلت امرأة أمير المؤمنين الخيمة لتقوم بدور القابلة، وأمر «عمر» الرجل أن يجمع بعض الأغصان ويشعل النار تحت القدر، وجعل «عمر» يسوط الطعام داخل القدر حتى نضج.

ولم تلبث القابلة الفاضلة أن أَطَلَّت من كِسْرِ الخيمة ـ جانبها ـ وقالت: بَشِّر صاحبك بغلام، يا أمير المؤمنين! وصَعِق الرجل لدى سماعه الكلمة الأخيرة، وكاد يغشى عليه من شدة الفزع، وطفق يعتذر لأنه لم يكن يدري أن الذين عرضا مساعدتهما أمير المؤمنين «عمر» وأن القابلة حفيدة سيد المرسلين، وامرأة أمير المؤمنين، وبنت سيدة نساء العالمين، وأخذ «عمر» يسكِّن الرجل ويهدىء من روعه، ثم ناول القدر لأم كلثوم لتطعم المرأة، وهو ينتظرها حتى تشبع، فراحت تطعمها بيديها الكريمتين، ولما شبعت تناول «عمر» منها القدر، ووضعها بين يدي الرجل ليسكت منها جوعه، وحين فرغ من طعامه، قال له «عمر»: ائتنا صباح الغد في الديوان لنأمر لك بما يصلح حالك، ثم انطلق بامرأته الفذة إلى دارهما، وقد غمرها الفرح والسرور بهذا العمل النبيل الذي أدَّياه، والناس غارقون في سبات عميق، ولكن عين الحي القيوم التي لا تنام، كانت ترمقهما في تلك الليلة

الشديدة الظلام، لتدون اسميهما في سجل الكرام.

وأخرج أبو جعفر الطبري في تاريخه، قال: وبعثت «أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب» إلى ملكة الروم بطيبٍ ومشاربَ وأحفاشٍ من أحفاشِ ـ أوعية الطيب ـ النساء، ودسته إلى البريد، فأبلغه لها، وأخذ منه، وجاءت امرأة «هرقل»، وجمعت نساءها، وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب، وبنت نبيهم، وكاتبتها وكافأتها. وأهْدت لها، وفيما أهْدت لها عقد فاخر، فلما انتهى به البريد إليه أمر بإمساكه ودعا: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى بهم ركعتين، وقال: إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شورى من أموري، قولوا في هدية أهدتها «أم كلثوم» لامرأة ملك الروم، فأهدت لها امرأة ملك الروم، فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة الملك بذمَّة فتُصانَع به، ولا تحت يدك فتتقيك.

وقال آخرون: قد كنا نُهدي الثياب لنستثيب، ونبعث بها لنبتاع، ولنصيب ثمناً، فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين، والبريد بريدهم، والمسلمون عظَّموها في صدرها، فأمر بردها إلى بيت المال، وردَّ عليها بقدر نفقتها[١].

ولم تأس «أم كلثوم» ﷺ على هديتها، ولم تحزن لِفَقْدها، لحديثين قد سمعتهما، وقد رواهما «السيوطي» في تاريخ الخلفاء، الأول أخرجه ابن ماجه والحاكم، عن أبي ذر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به**»، والثاني أخرجه أحمد والبزار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»[٢].

ولم تغب عن بَالِ «أم كلثوم» وهي اللبيبة الفطنة الحاذقة، موافقات القرآن لعمر ﷺ، فقد أخرج «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء» بعنوان (فصل في موافقات «عمر» ﷺ)، قال: قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين، أخرج ابن مردويه عن مجاهد، قال: كان «عمر» يرى الرأي فينزل به القرآن.

وأخرج ابن عساكر، عن علي، قال: إن في القرآن لرأياً من رأي «عمر».

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٦٠).
(٢) تاريخ الخلفاء، ص: ١٠٦.

وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً: ما قال الناس في شيء، وقال فيه «عمر» إلَّا جاء القرآن بنحو ما يقول «عمر».

وأخرج الشيخان عن «عمر»، قال: وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام «إبراهيم» مصلًّى، فنزلت: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البَقَرَة، الآية: ١٢٥] ، وقلت: يا رسول الله! يدخل على نسائك البر والفاجر، فلو أمرتهن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة، فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت كذلك.

وأخرج مسلم عن عمر، قال: وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي أسارى بدر، وفي مقام إبراهيم، ففي هذا الحديث خصلة رابعة.

وفي «التهذيب» للنووي: نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر، وفي الحجاب، وفي مقام إبراهيم، وفي تحريم الخمر، فزاد خصلة خامسة، وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم أنه قال: اللهم! بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تحريمها.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره، عن أنس، قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع، نزلت هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون، الآية: ١٢] الآية، فلما نزلت قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون، الآية: ١٤] ، فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة، وللحديث طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنه أوردته في التفسير المسند، ثم رأيت في كتاب «فضائل الإمامين» لأبي عبد الله الشيباني، قال: وافق «عمر» ربه في أحد وعشرين موضعاً، فذكر هذه الستة، وزاد سابعاً قصة «عبد الله بن أبي».

قلتُ: حديثها في الصحيح عنه، قال: لما توفي «عبد الله بن أبي» دُعِيَ رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فقمت حتى وقفت في صدره، فقلت: يا رسول الله! أو على عدو الله «ابن أبي» القائل يوم كذا وكذا؟ فوالله! ما كان إلَّا يسيراً حتى نزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة، الآية: ٨٤] ، وثامناً:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ [البَقَرَة، الآية: ٢١٩] .

وتاسعاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النِّساء، الآية: ٤٣] ، قلت: هما مع آية المائدة خَصْلة واحدة، والثلاثة في الحديث السابق.

وعاشراً: لما أكثر رسول الله ﷺ من الاستغفار لقوم قال «عمر»: سواء عليهم، فأنزل الله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ [المنَافِقون، الآية: ٦] ، قلت: أخرجه الطبراني عن ابن عباس.

الحادي عشر: لما استشار الصحابة في الخروج إلى بدر، أشار «عمر» بالخروج، فنزلت: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفَال، الآية: ٥] .

الثاني عشر: لما استشار الصحابة في قصة الإفك، قال «عمر»: من زوَّجكها يا رسول الله!؟ قال: «الله»، قال: أفتظن أن ربك دلَّسَ عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت كذلك.

الثالث عشر: قصته في الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه، وكان ذلك محرماً في أول الإسلام، فنزل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ [البَقَرَة، الآية: ١٨٧] ، قلت: أخرجه أحمد في مسنده.

الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البَقَرَة، الآية: ٩٧] ، قلت: أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة، وأقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى: أن يهودياً لقي «عمر» فقال: إن «جبريل» الذي يذكره صاحبكم عدو لنا، فقال له «عمر»: من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين، فنزلت على لسان «عمر».

الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النِّساء، الآية: ٦٥] ، قلت: أخرج قصتها ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أبي الأسود، قال: اختصم رجلان إلى النبي ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: رُدَّنا إلى «عمر بن الخطاب» فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال: رُدَّنا إلى «عمر»، فقال: أكذاك؟ قال: نعم، فقال «عمر»: مكانكما حتى أخرج

إليكما، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه، فضرب الذي قال: رُدَّنا إلى «عمر» فقتله، وأدبر الآخر، فقال: يا رسول الله! قَتَلَ «عمرُ» والله صاحبي!.

فقال: «**ما كنت أظن أن يجترىء «عمر» على قتل مؤمن**»، فأنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء، الآية: ٦٥] فأهدر دم الرجل وبرىء «عمر» من قتله، وله شاهد موصول أوردته في التفسير المسند.

السادس عشر: الاستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه، وكان نائماً، فقال: اللهم! حَرِّم الدخول، فنزلت آية الاستئذان.

السابع عشر: قوله في اليهود: إنهم قوم بُهْتٌ.

الثامن عشر: قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة، الآيتان: ٣٩، ٤٠] قلتُ: أخرج قصتها «ابن عساكر» في تاريخه، عن «جابر بن عبد الله»، وهي في أسباب النزول.

التاسع عشر: رفع تلاوة: «الشيخ والشيخة إذا زنيا» الآية.

العشرون: قوله يوم أُحُدٍ ـ لما قال «أبو سفيان»: أفي القوم فلان؟ ـ : لا نجيبَنَّه، فوافقه رسول الله ﷺ، قلتُ: أخرج قصته «أحمد» في مسنده.

قال: ويضم إلى هذا ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرد على الجهمية» من طريق ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله؛ أن «كعب الأحبار» قال: ويل لِمَلِكِ الأرض من مَلِكِ السماء، فقال «عمر»: إلا من حاسب نفسه، فقال «كعب»: والذي نفسي بيده! إنها في التوراة لَتَابِعَتُها، فَخَرَّ «عمر» ساجداً[1].

أفبعد كل هذه الموافقات القرآنية لا تكون «أم كلثوم بنت علي» رضي الله عنها أسعد الناس بمثل هذا الرجل؟ وقد قالت عنه «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها: كان والله! أَحْوَذِيًّا نسيج وَحْدِه.

ألا تسعد بمن أعز الله تعالى به دينه، وملأ الأرض به عدلاً وأمناً وسلاماً، وفتح البلاد، ودوَّخ العباد؟

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١١٠ ـ ١١٣.

وما كانت «أم كلثوم» ﷺ لتتخيَّل ولو للحظة واحدة أن تغيب شمسه عنها، فقد أحبته الحب كله، وباتت لا تحسُّ بالسعادة إلَّا إذا كان منها قريباً، وتلك حالة لا يمرُّ بها إلَّا أصدق المحبين، ولكن ما بوسع «أم كلثوم» أن تصنع إذا حمَّ القضاء؟ لقد آن لهذا النجم أن يَأْفُل، وأن يغيب ضياؤه الوهاج من سماء حياتها، فقد خرج إلى صلاة الغداة ـ الصبح ـ ولم تعلم أنه الخروج الأخير الذي لا رجوع بعده، فإنْ عِلجاً مجوسياً كان يتربص به، يريد أن يخلص الأمة من خيره وعدله.

وكان من دعاء «عمر»: اللهم! ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك، أخرجه البخاري عن أسلم.

واستجاب الله لدعائه، فقد أخرج «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء» عن سعيد المسيب: لما نفر «عمر» من مِنًى أناخ بالأبطح، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم! كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مُضَيِّع ولا مُفَرِّط، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل، أخرجه الحاكم.

وقال أبو صالح السمان: قال «كعب الأحبار» لعمر: أجدك في التوراة تقتل شهيداً، قال: وأنَّى لي الشهادة وأنا بجزيرة العرب؟[1].

أما عن استشهاده فقد روى «السيوطي» عن الزهري، قال: كان عمر ﷺ لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة، حتى كتب إليه «المغيرة بن شعبة» وهو على الكوفة، يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس، إنه حَدَّاد، نَقَّاش، نَجَّار، فَأَذِنَ له أن يرسله إلى المدينة، وضرب عليه «المغيرة» مائة درهم في الشهر، فجاء إلى «عمر» يشتكي شدة الخراج، فقال: ما خراجك بكثير، فانصرف ساخطاً يتذمَّر، فلبث «عمر» ليالي، ثم دعاه، فقال: ألم أُخبَرْ أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟ فالتفت إلى «عمر» عابساً، وقال: لأصنعَنَّ لك رحى يتحدث بها، فلما ولى قال «عمر» لأصحابه: أوعدني العبد آنفاً، ثم اشتمل «أبو لؤلؤة» على خنجر ذي رأسين، نصابه في وسطه، فكمن بزاوية من زوايا المسجد في الغَلَس

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٢٠.

ـ ظلمة آخر الليل ـ، فلم يزل هناك حتى خرج «عمر» يوقظ الناس للصلاة، فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات، أخرجه ابن سعد.

وقال أبو رافع: كان «أبو لؤلؤة» عبد «المغيرة» يصنع الأرحاء، وكان «المغيرة» يستغلُّه كل يوم أربعة دراهم، فلقي «عمر» فقال: يا أمير المؤمنين! إن «المغيرة» قد أثقل عليَّ فكلِّمه، فقال: أحْسِنْ إلى مولاك ـ ومن نية «عمر» أن يكلم «المغيرة» فيه ـ فغضب، وقال: يسع الناسَ كلَّهم عدلُه غيري، وأضمر قتله، واتَّخذ خنجراً وشحذه وسَمَّه.

وكان «عمر» يقول: أقيموا صفوفكم، قبل أن يُكَبِّر، فجاء فقام حذاءه في الصف، وضربه في كتفه وفي خاصرته، فسقط «عمر»، وطعن ثلاثة عشر رجلاً معه فمات منهم ستة، وحمل «عمر» إلى أهله، وكادت الشمس تطلع، فصلى «عبد الرحمٰن بن عوف» بالناس بأقصر سورتين، وأُتِيَ «عمر» بنبيذ فشربه فخرج من جرحه، فلم يتبيَّن، فسقوه لبناً فخرج من جرحه، فقالوا: لا بأس عليك، فقال: إن يكن القتل بأساً فقد قُتِلْتُ، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنت وكنت، فقال: أما والله! وددتُ أني خرجت منها كفافاً لا عليَّ ولا لي، وأن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي، وأثنى عليه «ابن عباس» رضي الله عنهما فقال عمر: لو أن لي طِلاَعَ ـ مِلْءَ ـ الأرض ذهباً لافتديت به من هول المَطْلَع، وقد جعلتها شورى في «عثمان «وعلي» و«طلحة» و«الزبير» و«عبد الرحمٰن بن عوف» و«سعد»، وأمر «صهيباً» أن يصلي بالناس، وأجل الستة ثلاثاً، أخرجه الحاكم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان «أبو لؤلؤة» مجوسيًّا.

وقال عمرو بن ميمون: قال «عمر»: الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي، بيد رجل يدَّعي الإسلام، ثم قال لابنه: يا عبد الله! انظر ما عليَّ من الدين، فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوها، فقال: إن وفَى مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلَّا فاسأل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم، فاسأل في قريش.

اذهب إلى أم المؤمنين «عائشة» فقل: يستأذن «عمر» أن يدفن مع صاحبيه، فذهب إليها، فقالت: كنت أريده لنفسي ـ تعني المكان ـ، ولأُوثِرَنَّه اليوم على نفسي.

فأتى «عبد الله» فقال: قد أذِنَتْ، فحمد الله تعالى، وقيل له: أوصِ، يا أمير المؤمنين واسْتَخْلِفْ، قال: ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمَّى الستة، وقال: يشهد «عبد الله بن عمر» معهم وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة «سعداً» فهو ذاك، وإلَّا فلْيَسْتَعِنْ به أيكم ما أُمِّرَ، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، ثم قال: أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بالمهاجرين والأنصار، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، في مثل ذلك من الوصية.

فلما توفي خرجنا به نمشي، فسلم «عبد الله بن عمر» وقال: «عمر» يستأذن، فقالت «عائشة»: أَدْخِلُوه، فَأُدْخِلَ، فَوُضِع هناك مع صاحبيه.

فلما فرغوا من دفنه، ورجعوا، اجتمع هؤلاء الرهط، فقال «عبد الرحمٰن بن عوف»: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال «الزبير» قد جعلت أمري إلى «عليٍّ»، وقال «سعد»: قد جعلت أمري إلى «عبد الرحمٰن»، وقال «طلحة»: قد جعلت أمري إلى «عثمان»، قال: فخلا هؤلاء الثلاثة، فقال «عبد الرحمٰن»: أنا لا أريدها، فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه؟ واللهُ عليه والإسلام لينظُرَنَّ أفضلهم في نفسه، ولْيَحْرِصْ على صلاح الأمة، فسكت الشيخان «علي» و«عثمان»، فقال «عبد الرحمٰن»: اجعلوه إليَّ، واللهُ عليَّ لا آلوكم عن أفضلكم، قالا: نعم، فخلا بعلي، وقال: لك من القِدم في الإسلام، والقرابة من رسول الله ﷺ ما قد علمت، الله عليك لئن أمَّرتُك لَتَعْدِلَنَّ، ولئن أمَّرتُ عليك لَتَسْمَعَنَّ ولَتُطِيعَنَّ؟ قال: نعم، ثم خلا بالآخر، فقال له كذلك، فلما أخذ ميثاقهما، بايع «عثمان» وبايعه «علي»[1].

ولما خرجت «أم كلثوم» من عدتها بادر «سعيد بن العاص» إلى خطبتها فوافقت عليه، ولما شاورت أخويها «الحسن» و«الحسين» ﷺ أجمعين، وافق «الحسن» وأبى «الحسين»، وكان «سعيد» قد بعث إليها بمائة ألف درهم، وأرسل إلى الناس لحضور زواجه، وحين بلغه موقف «الحسين» ﷺ، واجتمع الناس عنده، قال لهم: إني قد دعوتكم الأمر، ثم بدا لي غيره، إني كنت خطبت «أم

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٢١ ـ ١٢٣.

كلثوم بنت علي» فأنعمت، والله! ما كنتُ لأَدْخُلَ على ابني «فاطمة الزهراء» بأمر يكرهانه، ثم ترك التزويج والمال لها.

وأخرج «ابن حَجَر العسقلاني» في «الإصابة» عن ابن إسحاق، عن الحسن بن الحسن بن علي، قال: لما تأيمت «أم كلثوم بنت علي»، عن «عمر»، فدخل عليها أخواها «الحسن» و«الحسين»، فقالا لها: إن أردتِ أن تصيبي بنفسك مالاً عظيماً لتُصيبِنَّ، فدخل «عليٌّ» فحمِد الله وأثنى عليه، وقال: أيْ بُنَيَّةُ! إن الله قد جعل أمرك بيدك، فإن أحببتِ أن تجعليه بيدي، فقالت: يا أبتِ! إني امرأة أرغب فيما ترغب فيه النساء، وأحب أن أصيب من الدنيا، فقال: هذا من عمل هذين، ثم قام يقول: والله! لا أكلم واحداً منهما أو تفعلين، فأخذا شأنها، وسألاها ففعلت، فتزوجها «عون بن جعفر بن أبي طالب».

وذكرها «الدارقطني» في كتاب «الإخوة» أن «عوناً» مات عنها، فتزوجها أخوه «محمد» ثم مات عنها، فتزوجها أخوه «عبد الله بن جعفر» فماتت عنده، وذكر «ابن سعد» نحوه، وقال في آخره: فكانت تقول: إني لأستحيي من «أسماء بنت عميس»، مات ولداها عندي، فأتخوف على الثالث، قال: فهلكت عنده، ولم تلد لأحد منهم.

وذكر «ابن حَجَر» أن «أم كلثوم» وولدها «زيداً» ماتا في يوم واحد، أصيب «زيد» في حرب كانت بين بني عدي، فخرج ليصلح بينهم، فشَجَّه رجل وهو لا يعرفه في الظلمة، فعاش أياماً، وكانت أمه مريضة، فماتا في يوم واحد، ومن طريق عطاء الخُراساني، أن «عمر» أمهرها أربعين ألفاً، وأخرج بسند صحيح: أن «ابن عمر» صلى على «أم كلثوم» وابنها «زيد»، فجعلها مما يليه، وكبَّر أربعاً، وساق بسند آخر: أن «سعيد بن العاص» هو الذي صلى عليهما[1]. رحمهما الله تعالى.

وتزوَّج «عمر» ﷺ من «عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية» العدوية، أخت «سعيد بن زيد» أمها «أم كُرَيْز بنت عبد الله بن عمار بن مالك»

(١) الإصابة (٤/ ٢٧٤٦).

الحضرمي، وقد نسبها «أبو عمر بن عبد البر» في «الاستيعاب»، فقال: كانت من المهاجرات، تزوجها «عبد الله بن أبي بكر الصديق»، وكانت حسناء جميلة ذات خلق بارع، فأولع بها وشغلته عن مغازيه، فأمره أبوه بطلاقها لذلك فقال:

يقولون طلِّقها وخيِّمْ مكانها ... مقيماً تُمَنِّي النفس أحلامَ نائمِ
وإن فراقي أهل بيت جميعهم[1] ... على كثرة مني لإحدى العظائمِ
أراني وأهلي كالعجولَ تَروَّحَتْ ... إلى بَوِّها قبل العشار الرَّوائمِ

فعزم عليه أبوه حتى طلقها، ثم تبعتها نفسه، فهجم عليه «أبو بكر» وهو يقول:

أعاتكُ لا أنساك ما ذَرَّ شارق ... وما ناح قُمْرِيُّ الحَمام المُطَوَّقُ
أعاتكُ قلبي كل يوم وليلةٍ ... إليك بما تخفي النفوس مُعَلَّقُ
ولم أر مثلي طلَّق اليوم مثلَها ... ولا مثلُها في غير جُرْم تُطَلَّقُ
لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأيٌ ومَنْصِبٌ ... وخَلْقٌ سَوِيٌّ في الحياء ومَصْدَقُ

فَرَقَّ له أبوه، فأمره، فارتجعها، فقال حين ارتجعها:

أعاتكُ قد طُلِّقْتِ في غير ريبةٍ ... وروجعت للأمر الذي هو كائنُ
كذلك أمر اللهِ غادٍ ورائحُ ... على الناس فيه ألفة وتباينُ
وما زال قلبي للتفرّق طائراً ... وقلبي لما قد قرَّب الله ساكنُ
لِيَهْنِكِ أني لا أرى فيه سخطة ... وأني قد تمَّت عليك المحاسنُ
وأنك ممن زيَّن الله وجهه ... وليس لوجه زانه الله شائنُ

ثم شهد «عبد الله» الطائف مع رسول الله ﷺ فرمي بسهمٍ فمات منه بعد بالمدينة، فقالت «عاتكة» ترثيه:

رزئتُ بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبي بكر وما كان قَصَّرَا
فآليت لا تنفكُّ عيني حزينةً ... عليك ولا ينفكُّ جلدي أَغْبَرا
فلله عينًا مَنْ رأى مثلَه فتًى ... أكرَّ وأحمى في الهياج وأصبَرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمَرا

فتزوجها «زيد بن الخطاب» على اختلاف في ذلك، فقتل عنها يوم اليمامة

(١) في الإصابة: جَمَعْتُهُمْ.

شهيداً، ثم تزوجها «عمر بن الخطاب» في سنة اثنتي عشرة من الهجرة، فأولم عليها، ودعا أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم «علي بن أبي طالب»، فقال له: يا أمير المؤمنين، دعني أكلم «عاتكة» قال: نعم، فأخذ «عليٌّ» بجانب الخِدْر، ثم قال: يا عُدَيَّةَ نفسِها! أين قولك؟:

فـأكـيـت لا تـنـفـكُّ عـيـنـي حـزيـنـةً عـلـيـك ولا يـنـفـكُّ جـلـديَ أغْـبَـرا

فبكت، فقال «عمر»: ما دعاك إلى هذا يا أبا حسن!؟ كل النساء يفعلن هذا، ثم قتل عنها «عمر»، فقالت تبكيه:

عـيـنـي جـودي بـعـبـرة ونـحـيـب لا تَـمَـلِّـي عـلـى الإمـام الـنـجـيـبِ
فـجـعـتـنـي الـمـنـونُ بـالـفـارس الـمُـعْـ ـلَـم يـومَ الـهـيـاج والـتـثـويـبِ
قـل لأهـل الـضـرَّاء والـبـؤس مـوتـوا قـد سـقـتـه الـمـنـونُ كـأس شَـعُـوبِ

وقد أغفل «أبو عمر» البيت التالي، ومحله قبل البيت الأخير:

عـصـمـة الـنـاس والـمـعـيـن عـلـى الـدَّهْـ ـرِ وغـيـثُ الـمـحـرومِ والـمـحـروبِ

ثم قال «أبو عمر»: وما رثت به «عمر» رضي الله عنه قولها:

مُـنِـعَ الـرقـادُ فـعـاد عـيـنَـي عـائـد مـمـا تـضـمَّـن قـلـبـي الـمَـعْـمُـودُ
قـد كـان يـسـهـرنـي حـذارك مَـرَّةً فـالـيـوم حُـقَّ لـعـيـنـيَ الـتـسـهـيـدُ
أبـكـي أمـيـر الـمـؤمـنـيـن ودونـه لـلـزائـريـن صـفـائـح وصـعـيـدُ[1]

وقد أغفل «أبو عمر» البيت التالي، ومحله بعد البيت الأول:

يـا لـيـلـة حُـبِـسَـتْ عـلـيَّ نـجـومُـهـا فـسَـهِـرتُـهـا والـشـامـتـون هُـجـودُ

كما رثته بأبيات أخرى لم يوردها «أبو عمر» في «الاستيعاب» منها:

وفـجَّـعـنـي فـيـروزُ لا دَرَّ دَرُّهُ بـأبـيـضَ تـالٍ لـلـكـتـاب مُـنـيـبِ
رؤوف على الأدنى غليظ على العِدى أخـي ثـقـةٍ فـي الـنـائـبـات مـجـيـبِ
متـى مـا يَـقُـلْ لا يـكـذبُ الـقـول فـعـلُـه سـريـعٍ إلـى الـخـيـرات غـيـر قَـطُـوبِ

وهذه أبيات أخرى لم ترد في «الاستيعاب»:

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٧٦ ـ ١٨٧٩).

مـن نـفـسٍ عـادَهـا أحـزانُـهـا ولـعـيـن شَـفَّـهـا طـول الـسَّـهَـرْ
جـسـدٌ لُـفِّـفَ فـي أكـفـانـه رحـمـة الله عـلـى ذاك الـجَـسَـدْ
فـيـه تـفـجـيـعٌ لـمـولًـى غـارمٍ لـم يـدعـه اللهُ يـمـشـي بـسَـبَـدْ[1]

وقال «أبو عمر بن عبد البر» في «الاستيعاب»: ثم تزوجها «الزبير بن العوام»، وكان قد شرط ألَّا يمنعها من المسجد، وكانت امرأة خليقة ـ أي: بادنة وسمينة ـ، فكانت إذا تهيأت إلى الخروج للصلاة قال لها: والله! إنك لتخرجين وإني لكاره، فتقول: فامنعني فأجلس، فيقول: كيف وقد شرطتُ لكَ ألَّا أفعل، فاحتال فجلس لها على الطريق في الغَلَس ـ الظلمة الشديدة ـ، فلما مرت وضع يده على كَفَلِهَا، فاسترجعت، ثم انصرفت إلى منزلها.

فلما حان الوقت الذي كانت تخرج فيه إلى المسجد لم تخرج، فقال لها «الزبير»: ما لك لا تخرجين إلى الصلاة؟ قالت: فسد الناس، والله! لا أخرج من منزلي، فعلم أنها ستفي بما قالت، فقال: لا رَوْعَ يابنة «عُمَرَ»، وأخبرها الخبر، فَقتل عنها يوم الجمل، فقالت ترثيه:

غـدر ابـن جـرمـوز بـفـارس بُـهْـمـةٍ يـوم الـلـقـاء وكـان غـيـر مُـعَـرَّدِ[2]
يـا عـمـر ولـو نـبَّـهـتـه لَـوَجَـدتَـه لا طـائـشـاً رَعْـشَ الـجَـنـان ولا الـيـدِ
كـم غـمـرةٍ قـد خـاضـهـا لـم يَـثْـنِـه عـنـهـا طـرادك يـابـن فَـقْـعِ الـقَـرْدَدِ[3]
ثـكِـلـتـك أمـك إن ظـفـرت بـمـثـلـه مـمـن مـضـى مـمـن يـروح ويـغـتـدي
واللهِ ربِّـك إن قـتـلـت لَـمُـسْـلِـمـاً حـلَّـت عـلـيـك عـقـوبـةُ الـمـتـعـمِّـد

ثم خطبها «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه بعد انقضاء عدتها من «الزبير»، فأرسلت إليه: إني لأَضَنُّ بك يابن عم رسول الله ﷺ عن القتل.

وكان «عبد الله بن الزبير» إذ قتل أبوه، قد أرسل إلى «عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل» يقول: يرحمك الله، أنت امرأة من بني عدي، ونحن قوم من بني أسد، وإن دخلت في أموالنا أفسدتها علينا، وأضررت بنا، فقالت: رأيك

(١) تعني أنه ذهب فقيراً لا شيء له.
(٢) بُهْمة: أمر معضل، ومُعَرَّد: من التعريد وهو الهرب.
(٣) الفَقْع: الكمأة البيضاء الرخوة، والقَرْدَد: ما غلظ وارتفع من الأرض.

يا أبا بكر! ما كنت لتبعث إليَّ بشيء إلَّا قبلته، فبعث إليها بثمانين ألف درهم، فقبلتها، وصالحت عليها، وتزوجها «الحسن بن علي» فتوفي عنها، وهو آخر مَنْ ذكر من أزواجها، والله أعلم[1].

ولعل الصواب: «الحسين بن علي» عوضاً عن «الحسن بن علي»، فقد روي أن «عبد الله بن عمر» ﷺ قال: مَنْ أراد الشهادة فليتزوج «عاتكة» وشاعت تلك المقولة بين الناس، إلَّا أنَّ «الحسين بن علي» ﷺ لم يكترث لتلك الإشاعة، فتقدم لخطبتها، وتم الزواج.

ولكن تحققت مقولة «عبد الله بن عمر» واستشهد «الحسين» يوم كربلاء مع عدة من آل بيت النبي ﷺ في أشنع مذبحة سمع بها الناس.

وقيل: إن «عاتكة» رثته بقولها:

واحسيناً ولا نسيتُ حسيناً ... أقصدته أسنة الأعداءِ
غادروه بكربلاء صريعاً ... جادتِ المزن في ذرا كربلاءِ

وهذا يؤكد أن آخر أزواجها كان «الحسين» لا «الحسن» كما ورد في رثائه.

وجاءها بعد انتهاء عدتها «مروان بن الحكم» خاطباً فأبت، وقالت: لستُ بمتخذة حَماً بعد رسول الله ﷺ.

ولئن كان صحيحاً أنها تزوجت خيرة الرجال وصفوة أصحاب رسول الله ﷺ، إلَّا أنها أمضت حياة حافلة بالأسى والآلام، فما إن تجد راحتها مع الزوج حتى يخطفه الموت منها، فتخلد إلى عدتها، ومما لا ريب فيه أن تكرار ذلك أربع مرات سبب لها الكثير من العنت والإرهاق، وكانت وفاتها سنة (٤٠ هـ)، رحمها الله تعالى.

ومن المفارقات العجيبة أن يقتل رائد العدل وباني صرح العدالة ظلماً وعدواناً على يد جبان رعديد، ليس له رادع من دين، ولا وازع من ضمير، والعزاء في رحيل «عمر» أنه نال الشهادة التي طالما دعا الله أن يرزقه إياها:

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٧٩ ـ ١٨٨٠).

ولكنه قبل أن يغمض عينيه للمرة الأخيرة حظي بآخر أمنياته من هذه الدنيا الفانية، وهي أن يرقد بجوار حبيبه الأعظم ﷺ، وما كانت أم المؤمنين «عائشة» لتبخل عليه بالمكان كانت تدخره لنفسها، فآثرته به لأنها خير من يعرف أقدار الرجال بعد سيد البشر.

وهذه بعض صور العدالة التي نعم الناس بها في حياته، دون أن تبرح أذهانهم بعد وفاته، فقد أخرج «أبو الفرج بن الجوزي» في كتابه «تاريخ عمر بن الخطاب»: في ذكر عدله في رعيته.

عن عامر الشعبي، قال، قال «عمر»: والله! لقد لان قلبي في الله حتى هو ألين من الزبد، ولقد اشتد قلبي في الله حتى لهو أشد من الحجر.

عن عروة، قال: كان «عمر» إذا أتاه الخصمان برك على ركبتيه، وقال: اللهم! أعني عليهما، فإن كل واحد يريدني على ديني.

عن أبي فراس، قال: خطب «عمر بن الخطاب»، فقال: يا أيها الناس! ألا إنما كنا نعرفكم إذ بين أظهرنا النبي ﷺ، وإذ ينزل الوحي، وإذ ينبئنا الله من أخباركم، ألا وإن النبي ﷺ قد انطلق، وانقطع الوحي، وإنما نعرفكم بما نقول لكم: من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألاَ وإنه قد أتى عليَّ حين وأنا أحْسَبُ أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده، فقد خيل لي بأُخَرَة أن رجالاً قد قرأوه يريدون ما عند الناس، فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم.

ألا وإني والله! ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم وسننكم، فمن فُعِلَ به سوى ذلك فليرفعه إليَّ، فوالذي نفسي بيده! إذن لأُقَصَّنَّهُ ـ أي: لأُجْرِيَنَّ عليه حكم القِصَاص ـ فوثب «عمرو بن العاص»، فقال: يا أمير المؤمنين! أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيته، فأَدَّب بعض رعيته إنك لَمُقِصُّهُ منه؟

قال: إي والذي نفس «عمر» بيده! إذن لأَقُصَّنَّهُ منه، أنَّى ـ أي: كيف ـ لا أقص منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتُذِلُّوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفِّروهم، ولا تنزلوهم الغياض ـ جمع الغيضة،

وهي الشجر الملتف ـ فتضيعوهم.

عن جرير بن عبد الله البجلي، أن رجلاً كان مع «أبي موسى الأشعري» وكان ذا صوتٍ ونكاية في العدو، فغنموا مغنماً فأعطاه «أبو موسى» بعض سهمه، فأبى أن يقبله إلا جميعاً، فجلده «أبو موسى» عشرين سوطاً، وحلقه، فجمع الرجل شعره، ثم ترحَّل إلى «عمر بن الخطاب» حتى قدم عليه، فدخل على «عمر».

قال «جرير»: وأنا أقرب الناس من «عمر»، فأدخل يده، فاستخرج شعره، ثم ضرب به صدر «عمر بن الخطاب»، فقال: أما والله! لولا... فقال «عمر»: صدق لولا النار.

فقال: يا أمير المؤمنين! إني كنت ذا صوت ونكاية في العدو، وأخبره بأمره، وقال: ضربني «أبو موسى» عشرين سوطاً، وحلق رأسي، وهو يرى ألَّا يُقْتَصَّ منه، فقال «عمر»: لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا أحب إليَّ من جميع ما أفاء الله عليَّ، فكتب «عمر» إلى «أبي موسى»: سلام عليكم، أما بعد، فإن فلاناً أخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذلك في ملإٍ من الناس، فعزمتُ عليك لَمَّا قعدتَ له في ملإٍ من الناس حتى يقتص منك، وإن كنتَ فعلتَ ذلك في خلاءٍ من الناس، فاقعد له في خلاء من الناس حتى يقتص منك.

فقدم الرجل، فقال له الناس: اعف عنه، فقال: لا والله! لا أدعه لأحد من الناس، فلما قعد «أبو موسى» ليقتص منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء، ثم قال: اللهم! قد عفوتُ عنه.

وروى عمر بن شَبَّة بإسناد له، قال: قال «عمرو بن العاص» لرجل من تُجِيبَ ـ بطن من كندة، بضم التاء وفتحها ـ: يا منافق! فقال التُّجيبي: ما نافقت منذ أسلمت، ولا أغسل لي رأساً ولا أدهنه حتى آتي «عمر»، فأتى «عمر»، فقال: يا أمير المؤمنين! إن «عَمْراً» نفقني، ولا والله! ما نافقت منذ أسلمت، فكتب «عمر» إلى «عمرو» ـ وكان إذا غضب كتب إليه العاصي بن العاص: أما بعد، فإن فلاناً التجيبي ذكر أنك نفقته، وإني أمرته إن أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين أو سبعين، فقام فقال: أَنْشُدُ اللهَ رجلاً سمع «عَمْراً» نفقني، إلا

قام فشهد، فقام عامة أهل المسجد، فقال له حَشْمُه ـ خاصته ـ: أتريد أن تضرب الأمير؟ قال: وعرض عليه الأَرْش، ـ الدِّيَة ـ ، فقال: لو ملأت لي هذه الكنيسة ما قبلت، فقال له حشمه: أتريد أن تضرب الأمير؟ فقال: ما أرى لعمرو ههُنا طاعة، فلما أبى، قال «عمرو»: اتركوه، فأمكنه من السوط، وجلس بين يديه، فقال: أتقدر أن تمتنع عني بسلطانك؟ قال: لا، قال: فامضِ لما أُمِرْتَ به، قال: فإني أَدَعُكَ لله.

عن سلام، قال: سمعت «الحسن» يقول: جيء إلى «عمر» رضي الله عنه بمال، فبلغ ذلك «حفصة» أم المؤمنين، فجاءت، فقالت: يا أمير المؤمنين! حق أقربائك من هذا المال، قد أوصى الله بالأقربين.

فقال: يا بنية! حق أقربائي في مالي، وأما هذا ففيء المسلمين، غششت أباك، ونصحت أقرباءك، قومي، فقامت والله! تجر ذيلها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم علينا «عمر بن الخطاب» حاجاً، فصنع له «صفوان بن أمية» طعاماً، قال: فجاءوا بجفنة يحملها أربعة، فوضعت بين يدي القوم، فقام القوم يأكلون، وقام الخدام، فقال «عمر»: أرى خدامكم لا يأكلون معكم، أترغبون عنهم، فقال «سفيان بن عبد الله»: لا والله يا أمير المؤمنين! ولكنا نستأثر عليهم، فغضب غضباً شديداً، ثم قال: ما لقوم يستأثرون على خدامهم فعل الله بهم وفعل، ثم قال للخدام: اجلسوا فكلوا، فقعد الخدام يأكلون، ولم يأكل أمير المؤمنين.

وعن السائب بن الأقرع أنه كان جالساً في إيوان «كسرى» فنظر إلى تمثال يشير بإصبعه إلى موضع، قال: فوقع في روعه أنه يشير إلى كنز، قال: فاحتفرتُ ذلك الموضع، فاستخرجت كنزاً عظيماً، وكتبتُ إلى «عمر» أخبره، وكتبتُ أن هذا شيء، أفاء الله به عليَّ دون المسلمين، قال: فكتب إليَّ «عمر»: إنك أمير من أمراء المسلمين، فاقسمه بين المسلمين.

عن يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب، عن أبيه، قال: قدمنا مكة مع «عمر» فأقبل أهل مكة يسعون: يا أمير المؤمنين! «أبو سفيان» حبس مميل الماء علينا ليهدم منازلنا، فأقبل «عمر» ومعه الدِّرَّةَ، فإذا «أبو سفيان» قد نصب أحجاراً،

فقال له: ارفع هذا فرفعه، وهذا فرفعه، ثم قال: وهذا، وهذا، حتى رفع أحجاراً خمسة أو ستة، ثم استقبل «عمر» الكعبة، فقال: الحمد لله الذي جعل «عمر» يأمر «أبا سفيان» ببطن مكة فيطيعه.

عن جرير بن حازم، قال: سمعت «الحسن» يقول: حضر باب «عمر» رضوان الله عليه «سهيل بن عمرو» و«الحارث بن هشام» و«أبو سفيان بن حرب»، ونفر من قريش من تلك الرؤوس، و«صهيب» و«بلال» وتلك الموالي الذين شهدوا بدراً، فخرج آذن «عمر» فأذن لهم، وترك هؤلاء، فقال «أبو سفيان»: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد، ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا؟ فقال «سهيل بن عمرو» ـ وكان رجلاً عاقلاً ـ: أيها القوم! إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتُرِكْتُم؟

عن نوفل بن عُمَارة، قال: جاء «الحارث بن هشام» و«سهيل بن عمرو» إلى «عمر بن الخطاب» رضوان الله عليه، فجلسا عنده وهو بينهما، فجعل المهاجرون والأولون يأتون «عمر»، فيقول: هٰهُنا يا سهيل! هٰهُنا يا حارث! فينحّيهما عنه، فجعل الأنصار يأتون «عمر» فيقول: هٰهُنا يا سهيل! هٰهُنا يا حارث! فينحيهما عنه، حتى صارا في آخر الناس.

فلما خرجا من عند «عمر» قال «الحارث بن هشام» لِـ «سهيل بن عمرو»: ألم تر ما صنع «عمر» بنا؟ فقال «سهيل بن عمرو»: أيها الرجل! لا لوم عليه، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا، دعي القوم فأسرعوا، ودعينا فأبطأنا، فلما قاما من عنده أتياه فقالا: يا أمير المؤمنين! قد رأينا ما فعلت اليوم، وعلمنا أنا أُتِينا من أنفسنا، فهل من شيء نستدرك به؟

فقال لهما: لا أعلمه إلَّا هذا الوجه، وأشار لهما إلى ثغر الروم، فخرجا إلى الشام، فماتا ـ رحمهما الله ـ.

عن الحسن: أن رجلاً أتى أهل ماء فاستقاهم فلم يسقوه حتى مات عطشاً، فأغرمهم «عمر بن الخطاب» دِيَتَهُ.

عن أنس بن مالك قال: كنا عند «عمر بن الخطاب» ﷺ إذ جاءه رجل من

أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين! هذا مقام العائذ بك، قال: وما لك؟ قال: أجرى «عمرو بن العاص» الخيل بمصر، فأقبلت فرس لي، فلما رآها الناس، قام «محمد بن عمرو» فقال: فرسي ورب الكعبة! فلما دنا مني عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة! فقام يضربني بالسوط، ويقول: خذها، خذها، وأنا ابن الأكرمين، قال: فوالله! ما زاد «عمر» على أن قال: اجلس، ثم كتب إلى «عمرو»: إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك بابنك «محمد» قال: فدعا «عمرو» ابنه، فقال: أأحدثت حدثاً؟ أجنيت جناية؟ قال: لا، قال: فما بال «عمر» يكتب فيك؟ قال: فقدما على «عمر».

قال أنس: فوالله! إنا لعند «عمر» بمِنًى إذا نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل «عمر» يلتفت هل يرى ابنه؟ فإذا هو خلف أبيه، فقال: أين المصري؟ فقال: هأنذا، قال: دونك الدرة، اضرب ابن الأكرمين، قال: فضربه حتى أثخنه، ثم قال: اجعلها على صلعة «عمرو» فوالله! ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال: يا أمير المؤمنين! لقد ضربت من ضربني، فقال: أما والله! لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعُه، يا عمرو! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ ثم التفت إلى المصري، فقال: انصرف راشداً فإن رابك ريب فاكتب إليَّ[1].

هذا هو «عمر» الذي أعز الله به الإسلام، فأي رجل كان؟ رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء.

(١) تاريخ عمر بن الخطاب، ص: ١١٤ ـ ١١٩.